

صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك

بغيتة امساعد

في احكام المجاهد

رسالة

بقلم السيد أحمد بن السيد محمد الشريف بن

السيد محمد بن علي

السنوسي الخطابي الحسني الادريسي

في الحث على الجهاد

طبع بمطبعة جريدة الشعب في القاهرة المعزية

(سنة ١٣٣٢ هجرية)



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله فيقول عبد ربه المستمنح
لطفه الخفي الراجي نصره ووعد الوفي المتحصن بحصنه الفردوسى مملوك
استاذة أحمد بن السيد محمد الشريف بن السيد محمد بن علي السنوسى
الخطابى الحسنى الادريسى حمداً لمن وعد ناصر الحنيفية السمحة الغراء
بالعز والتأييد فى الدنيا ورفعته المقام فى الجنة الفيحاء والباسه الجديد من
كل حلة واحلاله من الرضا والعز والكرامة محله وصلاة وسلاما على من
بشر به عيسى بن مريم وعلى آله وأصحابه الخائزين من الكمال كل وصف
أكرم الذين أنزل فيهم وفي من افتدى بعملهم المخصوص (ان الله يحب
الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وبعد فاني أخطب بهذه
الرسالة الموسومة باسم « بغية المساعد فى احكام المجاهد » أهل النفوس الالية
المحافظين على الشريعة المرعية أهل وطننا ذوى الغيرة الاسلامية والنجدة
الايمانية من السلوم الى حد تونس المعلوم هداانا الله واياهم الى اتباع الطريقة
المحمدية

الحمد لله العزيز الجبار والصلاة والسلام على من أطل عى الدين بالبتار

وعلى آله وأصحابه الانصار القائمين بواجب (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)
الصادقين ما عاهدوا الله عليه الذائقين من حلاوة الشهادة ما ذاق قبلهم الصفة
الأخيار

أما بعد اهداء أطيب السلام والدعاء لكم بالجرأة والاقدام وثبات
الاقدام فاعلموا ان الله قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
فاستبشروا بهذه الصفقة الراجعة وجاهدوا متخذين نصره سيفاً وولايته جنة
واستعملوا ما أمروا به من الوفاء لينالوا الرمح الجسيم قال تبارك وتعالى
(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم
ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر
من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)

وقد ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية قول المؤمنين لو نعلم
أحب الاعمال الى الله لعملناه فنزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) الى آخر الآية الشريفة وفيها استفهام في
اللفظ واليجاب في المعنى وهذا الامر لوجوب الامثال في صيغة الاستفهام
وروى ابن حاتم عن سعيد بن جبير انهم قالوا لو علمنا ما هي لا عطينا فيها المال
والاهل فدلهم الله عليها بقوله (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل
الله بأموالكم وأنفسكم) بان تستعدوا القتال عدوكم بالمال والآنفس وتخرجوا
لقتالهم بأنفسكم وسمى ما ذكر تجارة لانهم يرغبون فيها رضا الله عز وجل
والنصر على أعدائه وأعدائهم والفتح لحصونهم وأمصارهم

وروى عمر عن قتادة رضى الله عنه أنه قال لولا أن الله بينها لتلف عليها رجال ليكونوا يعلمونها حتى يعلموها

وروى عنه أيضا لما تلا هذه الآية الشريفة أنه قال الحمد لله الذى بيننا ثم قال تعالى (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) فاذا علمتم أنه خير أقبلتم عليه فكان لكم به ثواب عظيم وكأثمهم قالوا اذا فعلنا ذلك فما يكون لنا فنزلت الآية الشريفة (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) وهى السعادة الدائمة ثم قال تعالى (وأخرى تحبونها) أى ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرهابقوله تعالى (نصر من الله) لكم على أعدائه وأعدائكم و(فتح قريب) أى عاجلا

ثم خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وبشر المؤمنين) أى بهذا الثواب العظيم ليكونوا منه على يقين ويقوموا بما أمروا به من فرائض الجهاد وليحذروا ما توعد به الماثل من العذاب والتدمير بقوله تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) أى بعذاب من عنده عاجلا أو آجلا فى جهنم وبئس المصير وقال تعالى أيضا (مالككم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل الاتنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شىء قدير) الاتنفروه فقد نصره الله (أى نصره بقدرته على يد من اختاره من عباده المؤمنين

وقال تعالى (وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) وهذا غاية التوبيخ والتهديد ونهاية الوعيد بالعذاب الشديد واعلموا أن الاجل محتوم فما الخائف في المعركة حاسراً بميت دونه ولا القصور المشيدة مانعة ملائكته اذ يأتيه فما أصاب لم يكن ليخطيء وما أخطأ لم يكن ليصيب

على أن الموت في الجهاد هو منتهى أرب اليبب إذ هو الحياة الحقيقية وكال المنزلة

واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف وأن الشهيد لا يجد الموت الا كالقرصة لما هو به مشغوف وانه يجد ريح الجنة وتراءى له قصورها وتلوح له عن بعد ولدانها وحورها

وقد قال أنس بن النضر في واقعة أحد واهاً لريح الجنة أني لأجد ريحها دون أحد ثم انغمس في المشركين حتى قتل ولا يصدنكم عن جهادكم كثرة عدد ولا عدد فان قيمة الايمان يتلاشي في جانبها كل مدد فجموعهم المكثرة مكسرة وعزائمهم المؤنثة مصغرة وان كانت ذواتهم مذكرة مكبرة

وقد وعد الله ناصره بالنصر والتأييد وتوعد المتخلف عن نصره بضروب الوعد ولا تردوا على أدباركم لعجز أو ضعف من بعض أمرائكم فلو جاهد أحدكم لله وحده لصدقه وعده

الحى لا يموت الامرة والموت أحلى من حياة مرّة

وقد علمنا أنه في سالفة الغزوات كانت الراية تتداولها جماعات كلما أصيب أمير أخذها الآخر لينال المرام

وفي الحديث الشريف الحث على الجهاد مع كل امام فالله الله عباد الله

في بلادكم ان عليكم أخذ الأهبة والاستعداد ودفع الذل عن أنفسكم بالرجوع الى الجهاد فقد تقلدتم بالدين وبايعتم الله على سلوك سبيل المهتدين أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب أليم وجاهدوا عدو الله وعدوكم لتكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ولا ترضوا بالذل والهوان والخضوع لعبدة الأوثان وكيف تكون الحياة مع الحيات والعقارب ومن يجهر بالشرك والتثليث وتخريب المحارب، كيف يشرق عليكم نور شمس الاسلام اذا خفقت بينكم راية الصليب والظلام؟

اسرعوا الى تقليص ظل العدو عن بلادكم ومدافعتة عن ساحتكم وبادروا عليل الاسلام قبل أن يموت وتداركوا ما عسى أن يفوت فهذا كتاب الله بين أيديكم وكل يوم آياته تتلى عليكم وسنة رسول الله صلى الله عليهم وسلم قائمة تنادىكم الجهاد اليوم فرض عين عليكم ولا يجوز تركه اعتماداً على ان الله تعالى يؤيد دينه بنصره ويهلك الكفار بقدرته دون جهاد المجاهدين المخلصين والخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداء ولولم تكن حكمة ربانية وألطف إلهية لما أمر ناسبجانه وتعالى بالاستعداد والتأهب للجهاد في قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وقال تعالى (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

قال البيضاوى ان امداد الملائكة وكثرة العدد والأهبة انما هي وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدائها

وقد كان عليه السلام اذا أراد الخروج الى الجهاد يستعد لذلك بجميع أصحابه وبتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاجون اليه من الآلات والزاد في السفر ثم يدع الأمر بعد ذلك الى مولاه عز وجل ويتقرب النصر منه تعالى لا من أحد سواه ويتضرع اليه ويسأله باسمائه الحسنی كقوله صلى الله عليه وسلم «اللهم منزل الكتاب مجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم» وفي رواية «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم» وقوله صلى الله عليه وسلم «اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أصول وبك أجول وبك أقاتل» وقوله صلى الله عليه وسلم «اللهم أجزلى ما وعدتنى اللهم أنك أن تهلك هذه العصاية من أهل الاسلام لا تعبد فى الارض» وكان صلى الله عليه وسلم اذا ظفر بأعدائه رأى أن ذلك منه سبحانه لا من غيره وقد أنزل عليه تعالى قوله (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) واذا رجع من غزوة حمد وشكر لمولاه معترفا بما أولاه قائلا «دائبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده»

وقد قال الله تعالى ولكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر والرسول صلى الله عليه وسلم محبوب على شكر نعم مولاه . فى الشدة والرخاء ولكن ليعلم أمتة التواضع حتى لا يتطرق لهم العجب عند الانتصار كما فى وقعة حنين حتى انقلب الحال وولوا الادبار لان من بديع حكمته ان جعل الايام دولا والحرب سجالا وجعل العاقبة لاهل التقوي والكمال كما قال جل شأنه (والعاقبة للمتقين) ولولا سبق ارادته وحكمته

باختبارهم لكفى الله المؤمنين القتال كما قال جل وعلا (ولو شاء الله لا تتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض)

وقال تعالى (ولنبلونكم حتي نعلم المجاهدين منكم والصابرين ولنبلوا أخباركم) وقال عز شأنه (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتي يميز الخبيث من الطيب) أي المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد وغيرهما من التكليف الشاقة عليهم

وقال تبارك اسمه (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي لا يمتحنون ولا يختبرون بمفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وهجر الثرات والملاذ وسائر الطاعات الشاقة كما قال تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) وهذا الاختبار والامتحان سنة قديمة جارية في الأمم كلها كما يشير اليه قوله تعالى (وكأن من نبي قتل معه ريون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) ولا تنكسرن قلوبكم لقلة عدد ولا تجبنوا لضعف عدد بل يقاتل أحدكم ولو وحده منتظراً بالنصر وعده وقد قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين)

وفي الحديث الشريف جاءت كتيبة من قبل المشرق من كتائب الكفار فلقبهم رجل من الانصار فحمل عليهم فخرق الصف حتى خرج ثم كر راجعاً فصنع مثل ذلك مرتين أو ثلاثا واذا سعد بن هشام يذكر ذلك لابي هريرة فتلا هذه الآية الشريفة (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) أخرجه ابن أبي شيبة

وعن المغيرة بن شعبه قال كنا في غزاة فتقدم رجل فقاتل حتي قتل فقالوا

لقى هذا بيده الى التهلكة فكتب فيه الى عمر فكتب عمر رضى الله عنه انه ليس كما قالوا بل هو من الذين قال الله فيهم (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) وقال رجل للبراء بن عازب رضى الله عنه أرايت أن حملت على العدو فقتلوني آكنت ألقى يدي الى التهلكة قال لا قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين) وفي رواية ابن عساكر قال قال أبو اسحق سئل البراء عن الآية الشريفة (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) أهو الرجل يحمل على كتيبة وهم ألف والسيف بيده قال لا ولكنه رجل يصيب الذنب فيلتي بيده ويقول لا توبة لي

وقد ذكر بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم ومنهم أبو أيوب الانصاري ان اللقاء باليد الى التهلكة هو الاقامة في الاهل والاموال واصلاحها وترك الغزو لأن ذلك يقوى العدو ويجسر على الظهور على المسلمين فيفسد عليهم دينهم ودنياهم معا ويهلكهم فحركوا أيها الاخوان النفوس الآية الى الله تعالى بالهمم العلية واسمعوا منادى الايمان فانه ينادى من كانت له اذن واعية كما قال وهو أصدق القائلين في كتابه المنزل على نبيه سيد المرسلين (قالوا ربنا اننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان ان آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم اني لأضيق عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض والذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لآ كفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله

والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل
ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وأسمع الله من كان حياً وله بكلامه اعتبار فهو
يقوده الى منازل الأبرار ويحدو فلا به حادى الترغيب فى طريق القتال فلا
تخط رحاله الا بهاتيك الظلال

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه انه قيل لرسول الله أى الناس
أفضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمن يجاهد فى سبيل الله بماله
ونفسه قالوا ثم من قال مؤمن فى شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس
من شره وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول مثل المجاهد فى سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله كمثل
الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد فى سبيله أن يتوفاه وأن يدخله الجنة
أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة وعن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة
عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه سمعه يقول كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فطعمته وكانت أم حرام تحت
عبادة من الصامت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته وجعلت
تمسح رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت
فقلت وما يضحكك يا رسول الله قال أناس من أمتى عرضوا على غزاة فى
سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الاسرة أو مثل الملوك على
الاسرة قالت فقلت يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت
وما يضحكك يا رسول الله فقال أناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل
الله كما قال فى الاول قالت فقلت يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم قال

أنت من الاولين فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت

وعن سمرة قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا الى الشجرة فادخلا في داراهي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها قال أما هذه الدار فدار الشهداء وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها وعن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تعزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل وعن جندب بن سفين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض المشاهد وقد دميت أصبعه فقال

هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك وعن أبي موسى رضي الله عنه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ايرى مكانه فمن في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله

وعن أبي عبيس وهو عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار

وقد استدل الأمام البخارى هنا بقوله تعالى (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يأتون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين) وعن جابر أنه قال جاء بأبي الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد مثل به ووضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي وسمع صوت صائحة فقيل ابنة عمرو وأخت عمرو فقال لم تبكين أولاً تبكى ما زالت الملائكة تظله باجنحتها الى آخر ماورد وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شيء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يري من الكرامة وعن حميد قال سمعت أنس رضي الله عنه يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال ،

لاهم ان العيش عيش الآخرة * فاغفر للانصار وللمهاجرة
فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمداً * على الجهاد ما بقينا أبداً

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله فقد غزا وقد استدل البخاري على فضل الطليعة بقوله صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر القوم يوم الاحزاب قال الزبير أنا ثم قال من يأتيني بخبر القوم

فقال الزبير أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوارياً وحواري الزبير

وقد استدل أيضاً على فضل الفرس المعد للجهاد بقوله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة وقال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أيا عبد من عبادي خرج مجاهداً في سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمننت له ان أرجعه بما أصاب من أجر وغنيمة وان قبضته أن أغفر له وأرحمه وأدخله الجنة

وقال جاهدوا في سبيل الله فإن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجي به الله من الهم والنم وقال أنا زعيم والزعيم الحميل بمن آمن بالله واسلم وجاهد في سبيل الله يبيت في رياض الجنة ويبيت في وسط الجنة ويبيت في أعلا غرف الجنة ومن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً يموت حيث شاء أن يموت وقال صلى الله عليه وسلم لمن سأله قال أى الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله وقال ان غزوة بعد حج الفريضة خير من الف حجة وعن سعيد بن عبد العزيز قال قومة في سبيل الله خير من سبعين حجة تتلوها سبعون عمرة

وقد قال الصحابة يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده قال غمسة يده في العدو حاسراً وفي الآية الشريفة (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً) وفي الحديث الشريف أن درجات المجاهدين التي

في الآية مئة درجة في الجنة ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن الترهيب
لترك الجهاد قوله عليه السلام اذا تباعدت عنكم اوثاق الدنيا تركتم الجهاد
وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم
أى الى الواجب عليكم من جهاد الكفار والاعلاظ لهم واعانة الاسلام
ونصرة الدين وأهله واعلاء كلمة الله واذلال الكفر وأهله وفيه أن ترك
الجهاد خروج عن الدين هذا في الجهاد في الكفار فكيف بالجهاد الذي
تعين بهجاء العدو على كل أحد

واذا كان القاعد عن الجهاد خارجاً عن الدين فكيف بمن يخدم الكفار مبايعاً
لهم بحطام الدنيا على قتال المسلمين وكتابة نفسه في جندهم ؟
وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
غزا غزوة في سبيل الله فقد أدى الى الله جميع طاعته (فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر أنا أعتدنا للظالمين ناراً) قال قيل يا رسول الله وبعد هذا
الحديث الذي سمعناه منك من يدع الجهاد قال من لعنه الله وغضب عليه
وأعد له عذاباً عظيماً

(قوم يكونون في آخر الزمان لا يرون الجهاد وقد اتخذا ربى عنده عهداً
لا يخلفه أيما عبد لقيه وهو يرى ذلك أن يعذبه عذاباً لا يعذبه أحدا من
العالمين أخرجه ابن عسكر وفي مسلم من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه
مات على شعبة من النفاق أخرجه ابن عسكر أيضاً وعن أنس مرفوعاً لا يزال
الجهاد حلوا خضرا ما امطرت السماء وانبتت الأرض وسينشأ نساء من قبل
المشرق يقولون لا جهاد ولا رباط أولئك وقود النار بل رباط يوم في سبيل
الله خير من عتق ألف رقبة ومن صدقة اهل الارض جميعاً

وذكر في شفاء الصدور عن زيد بن اسلم عن أبيه مرفوعاً لا يزال الجهاد
حلوّاً خضراً ما قطر القطر من السماء وسيأتي على الناس زمان يقول فيه قرأء
منهم ليس هذا الزمن زمن جهاد فمن أدرك ذلك الزمن فنعم زمن الجهاد
قالوا يا رسول الله أو أحد يقول ذلك قال نعم من لعنه الله والملائكة والناس
أجمعون

وهذا أخبار منه صلى الله عليه وسلم بما سيقع فإن من المتفقهين الآن وأهل
الثروة والرياسة ونحوهم من يقولون ان الجهاد في هذا الزمن متعذر على الناس
ويعلمون ذلك بكثرة الأعداء وقوتهم وعظيم جرأتهم وشدة شوكتهم فيخافون
من مناوشة الحرب معهم مع ان تركهم لجهادهم أكبر ضرراً وأدهى وأمر
وهذه أوهام نفسانية ودسائس شيطانية ومن طالع السير وشاهد فتوحات
الصحابة في المشرق والمغرب والشمال والجنوب مع قلة عددهم وكثرة الأعداء
وشدة شوكتهم وانبعاث مددكم وهم ملوك تلك الأقاليم ورعاة الناس تحقق
قوله تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين) وفي
التاريخ أن ميخائيل ملك النصارى قصد بلاد الاسلام أيام ملك شاه
السلجوقي بمائة ألف مقاتل ولم يكن عنده ملك شاه الاثنا عشر ألفاً فوقع اللقاء
بينهم فانكسر ميخائيل واسرو غنم المسلمون من المعسكر النصراني ما لا يحصى
وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب الاثنا عشر ألفاً من قلة
فان غلب ذلك المقدار فلا يكون الا فساد وعلة ومن تمسك بالشرعية المطهرة
تحقق ان النصر بالله ورحم الله من اجاد في المقال .

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدي * وللمشتري دنياه بالدين أعجب

وقال غيره :

انبثت ان من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة في ماله فاذا أصيب بدينه لم يشعر
وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ببقاء الجهاد الى يوم الدين وانه لا ينقطع
وفي حديث الصحيحين عن عروة بن الجعد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة . الاجر والمغنم وفي حديثهما
ايضاً عن المغيرة بن شعبة عن معاوية لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله
لا يضرهم من كذبهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي
حديثهما ايضاً لا تزال عصاة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم
لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك وعن سعد بن ابي وقاص
لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وفي الشفاء لا تزال
طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم
بالغرب وفي حديث احمد بن جرير عن سلمة بن قهيل الحضرمي لا تزال طائفة
من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله بهم قلوب اقوام فيقاتلونهم ويرزقهم
الله منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي حديث ابي داود عن عمر بن
حصيد لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأم حتى
يقاتل آخرهم المسيح الدجال وفي حديث احمد عن أبي امامة الباهلي لا تزال
طائفة من أمتي على الدين ظاهرين ولعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم الا
ما أصابهم من اللأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك . والاحاديث في هذا المعنى
كثيرة والله الحمد والمنة على ما من به عليكم من قوة الايمان والديانة الكاملة
والشجاعة الشاملة التي لم ينلها في هذا الزمن غيركم وذلك تفضيل وتخصيص من ربكم

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقدوة مستحسنة بمواظبته صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة على الجهاد مدة حياته بيده وقلبه ولسانه وتلاه على ذلك الخلفاء الراشدون المهادون المهتدون وكما أنهم جاهدوا بالانفس جاهدوا بالاموال امتثالاً لما أمر به الكريم المتعال قال الله تعالى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدون فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) فإن الامر بالجهاد بالمال شقيق الامر بالجهاد بالنفس كما في القرآن والحديث بل جاء مقدماً على الجهاد بالنفس في كل موضع الا موضعاً واحداً وهذا هو الذي يدل على أن الجهاد به اهم وأكدر من الجهاد بالنفس ولا ريب انه أحد الجهادين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من جهر غازياً فقد غزا » فيجب على القادر عليه كما يجب على القادر بالبدن ولا يتم الجهاد بالبدن الا ببذله ولا ينتصر الا بالعدد والعدد فان لم يقدر ان يكثر العدد وجب عليه ان يمد بالمال والعدة واذا وجب الحج بالمال على العاجز بالبدن فوجوب الجهاد بالمال أولى وأحرى

واذا أراد الامير تحضير جيش ولم يكن عنده شيء في بيت المال فیتعين عليه أن يجمع من أصحابه ما يجهز به الجيش كما فعل صلى الله عليه وسلم حين أراد تجهيز جيش العسرة فأمر أهل الغنى بالنفقة عليهم فان الصديق قد أنفق ماله كله فقال له صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك وعيالك قال تركت لهم الله ورسوله والفساروق أنفق نصف ماله وشهيد الدار أنفق نفقة عظيمة ما أنفق أحد مثلها فانه جهز ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وسبعين فرساً وجاء بألف دينار وصبها بين يديه صلى الله عليه وسلم وجعل يقلبها بيده ويقول غفر

الله لك يا عثمان ما أسررتَه وما أعلنتَه وما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية أرسل عشرة آلاف دينار للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه

وقد قال حجة الاسلام أبو حامد الغزالي في كتابه المستصفى ما نصه فان قيل توظيف الخراج من المصالح فهل اليه سبيل أم لا قلنا لا سبيل اليه مع كثرة الاموال في أيدي الاجناد أما اذا خلت الايدي ولم يكن في بيت المال ما يفي بمخرجات العسكر ولو تفرق العسكر واشتغلوا بكسب وخيف من دخول الكفار بلاد الاسلام أو خيف تواتر الفتنة من أهل الشقاق في بلاد الاسلام فيجيز الامام أن يوظب الاغنياء مقدار كفاية الجندي ولو خلت خطة الاسلام عن ذي شوكة يحفظ نظام الامور ويقطع مادة الشرور لفسدت الارض ومن عليها وقوله على الاغنياء يريد على من له قدرة وطاقة أن يدفع شيئاً لا يجحف به وورد عن الامام ابن منظور اذا عجز بيت المال عن ارزاق الجند وما يحتاج اليه من آلات الحرب وعدهته فيوزع على الناس ما يحتاج اليه من ذلك ويستنبط هذا الحكم من قوله تعالى (قالوا يا اذا القرنين ان يا جوج وما جوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً على ان تجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكنى فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردماً آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله ناراً قال آتوني افرغ عليه قطراً فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً) ولكن لا يجوز ذلك الا بشروط منها أن يعجز بيت المال وتعين الحاجة ومنها أن يصرف الامام فيه بالعدل فلا يجوز ان يستأثر به دون المسلمين ولا

ينفقه في سرف ولا يعطي من لا يستحق أكثر مما يستحق ومنها أن يكون
المغرم على من كان قادراً من غير ضرر ولا إجحاف ومن لا شيء عنده أو له
شيء قليل لا يغرم شيئاً ومنها أن يتفقدوها في كل وقت فربما جاء الوقت لا
يحتاج فيه لزيادة على ما في بيت المال قال وكذلك إذا تعينت الضرورة للمعونة
بالإبدان ولم يكف المال فإن الناس يجبرون على التعاون بأبدانهم على الأمر
الداعي للمعونة بشرط القدرة وتعين المصلحة والافتقار إلى ذلك وكان الإمام
أبو إسحق الشاطبي رحمه الله ممن يجيز ضرب الخراج على الناس عند ضعفهم
وحاجتهم لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس قائلًا إن توظيف
الخراج على المسلمين في المصالح المرسلة لا شك عندنا في جوازه وظاهر
مصلحته في زمننا لكثرة الحاجة وضعف بيت المال لكن يبقى نظر آخر
في قدر ما يحتاج إلى أخذه من ذلك فهذا لا يعرفه إلا الملك أو من يباشره من
خدامه وخاصته بل ذلك في زمننا لا يعلمه الملك انتهى كلام الشاطبي
وذكر بن خلكان أن أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين طلب من أهل البلاد
المعونة على ما هو بصدد فوصل كتابه إلى المرية في هذا المعنى وذكر فيه
أن جماعة أفتوا بجواز طلب ذلك اقتداءً بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
فقال أهل المدينة لقاضي بلدهم وهو أبو عبد الله محمد بن يحيى لا بد أن تجيبه
وكان هذا القاضي من الدين والورع على ما ينبغي فكتب إليه كتاباً بهذا بعضه:
« قد اقتضاها (المعونة) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يشك
في عدله ولست يا أمير المؤمنين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
وزيره ولا ممن لا يشك في عدله وإن القضاة والفقهاء أنزلوك بمنزلة في العدل
فإن الله سألهم وحسبهم وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل يأمر المؤمنين المسجد الجامع هنا لك بحضرة أهل العلم ولتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين وحيثئذ تستوجب ذلك والسلام» وقد قال الامام السرقسطي رحمه الله من كلام له في هذا الصدد أن مصالح المسلمين التي لا تسكن ثغورهم ولا ينفك عنهم عدوهم دمره الله ولا تؤمن طرقهم إلا بها ان كانت لا تقوم الا بمغارم الاسواق تجب وكان أصل وضعها باتفاق من أهل الحل والعقد وقال أيضا ان تلك المغارم يجب حفظها وأن يؤتى لقبضها وصرفها في مواضعها الثقات الامناء وان أخذوها من محلها ووضعوها في المصالح التي جعلت لها كان سعيهم مشكورا ومن ضيعها ووضعها في غير موضعها كان غاشا ظالما وكذلك من لزمته من أهل الاسواق وحجبها ولم يخرجها كان أيضا ظالما غاشا اه فان قلت أنه قد ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال لا يدخل الجنة صاحب مكس أليست المغارم المذكورة من المكس المذكور قلنا المغارم لمصالح المسلمين ليست من المكس في شيء لان المكس عرفه بن عرفه وغيره بأنه منع الناس من التصرف في أموالهم بالبيع أو غيره يختص المانع بدفع ذلك وقال أبو محمد المرجاني المكس أن يحجر المكاس السلعة بحيث لا يبيعها أحد غيره أو من يختاره الخ وقال الطيبي المكس الضريبة التي يأخذها العشار قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الفاسي فعلى تفسير الطيبي أخذ الفوائد في الابواب والقاعات وأكثر الاسواق والرحاب مكس وهو الذي كثر استعماله في العرف وعلى تفسير المرجاني وابن عرفه ليس بمكس وإنما هو غصب وظلم وقد علمت أن الفقهاء رضي الله عنهم احترزوا عنه وأخرجوه بالشروط المتقدمة فليست المغارم المذكورة من المكس في

شيء لأنها ليست لنفع الأمير بل لنفع المسلمين ولهذا اتفقوا على جوازها وكذلك تجوز اخذ الاعانة من المشركين المعاهدين وأهل الذمة وقد استعان صلى الله عليه وسلم بما لهم وأيضاً استعار منهم عليه الصلاة والسلام فاستعار من نصارى نجران ثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً وثلاثين صنفاً من أصناف السلاح يغزون بها المسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم وعن صفوان بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم استعار منه أدرعاً يوم حنين فقال أغصبا يا محمد فقال لا بل عارية مضمونة فضايع بعضها فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يضمناها له فقال أنا اليوم في الاسلام أرغب فجوز العلماء الاستعانة بالمال

وأما الاستعانة بالرجال فجوز البعض ومنع البعض لأنه صلى الله عليه وسلم استعان مرة ومنع مرة وعن عائشة رضي الله عنها خرج النبي صلى الله عليه وسلم قبل بدر فلما كان ببحر الوبرة أدركه رجل كسلان قد تذكر منه نجاته وجراءته ففرح به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال جئت لاتبعتك فأصيب معك فقال صلى الله عليه وسلم تؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن أستعين بمشرك قالت ثم مضي حتى إذا كان بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة فقال لا ارجع فلن أستعين بمشرك قالت فرجع فادركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة تؤمن بالله ورسوله قال نعم قال له انطلق وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا على خواتمكم عرياً وفسره الحسن ابن أبي الحسن بقوله أي لا تشيروا المشركين في شيء من أموركم ولا تنقشوا على خواتمكم عرياً أي محمداً وعن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بناس من اليهود في حرب خيبر فأسهم لهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال

استعان النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ولكن يسهم لهم وقد خرج
 قزمان يوم احد وهو مشرك وقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم وقتل ثلاثة
 من بني عبدالدار من حملة لواء المشركين حتي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
 الله ليأزر هذا الدين بالرجل الفاجر فمن أجاز الاستعانة قال النبي صلى الله عليه
 وسلم منع أولاً ثم رخص بعد والذين ردهم ظهرت منهم الرغبة في الاسلام فردهم
 رجاء أن يسلموا فصدق الله ظنه ومن منع قال ان النهي على ظاهره وهو
 قول مالك واحمد لا يستعان بهم ولا يعاونوهم على الاطلاق الا أن مالك يقول
 بالجواز اذا كانوا خداماً للمسلمين وقال أبو حنيفة يستعان بهم على
 الاطلاق متى كان حكم الاسلام هو الغالب الجاري عليهم فان كان حكم
 الشرك هو الغالب كره وقال الشافعي ان ذلك جائز بشرطين أحدهما أن يكون
 بالمسلمين قلة وبالمشركين كثرة والثاني أن يعلم منهم حسن رأي في الاسلام
 وقيل انه متى استعان بهم الامام صحبهم ولم يسهم قال السولي اذا ضعف
 بيت المال يجب على الامام أن يكلف الرعية بان يحرقوا لبيت المال مثلاً كأن
 تحرق كل قبيلة مداً (هو عند أهل المغرب كيلة ونصف اصطنبولي) ومدين
 من عندها وتحصده وتدرسه وتأثي بزمامه للامير من غير أن يدفع الامير لهم
 شيئاً في مقابلة ذلك ولما كانت الحرب بقدرة الله حين حصول الغنائم بحوله وقوته
 فانه يجب على الامام جمعها وقسمها على الوجه المشروع وتعليم الرعية ذلك
 قال الله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسة) قال الخطيب في تفسير
 هذه الآية الشريفة واعلم أن الغنيمة والفى اسمان لما يصيبه المسلمون في
 الحرب الخ

فالفى ما حصل لنا مما هو لهم بلا ايحاف كجزية وعشر تجارة وما جلوا

عنه ولو بغير خوف وما تركه مرتد وكافر معصوم بلا وارث واما الغنيمة
فهي ما حصل لنا منهم مما هو لهم بايجاف أو التقاطه وكذا ما انهزموا عنه عند
التقاء الصفين ولو قبل شهر السلاح أو اهداه الكفار لنا والحرب قائمة ولم
تحل الغنائم لاحد قبل الاسلام ثم أحلت للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت في
صدر الاسلام له خاصة لانه كالقاتلين كلهم نصرة وشجاعة بل أعظم ثم نسج
على ذلك واستقر الامر على انها تجعل خمسة أقسام متساوية ويؤخذ خمس رقاع
ويكتب على واحدة لله أو للمصالح وعلى أربع للفاتحين ثم تدرج في بنادق
مستوية ويخرج لكل خمس زقعة فما خرج لله أو للمصالح جعل بين أهل الخمس
على خمسة أصناف وورد في الكفاية لابن رشد

واتفق المسلمون على أن الغنيمة التي تؤخذ غصباً من أيدي الروم
ماعداء الارض ان خمسها للامام وأربعة أخماسها للذين غنموها لقوله تعالى
(واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة) الى آخر الآية الشريفة واختلفوا
في الخمس على أربعة مذاهب مشهورة

أولها ان الخمس يقسم على خمسة أصناف على نص الآية وبه قال الامام
الشافعي

وثانيها أن يقسم على أربعة أخماس وان قوله تعالى (فإن لله خمسة) هو
افتتاح كلام وليس قسماً خامساً

وثالثها أن يقسم اليوم ثلاثة أقسام وان سهم النبي صلى الله عليه وسلم
سقط بقبضه

رابعاً أن الخمس بمنزلة الفداء يعطى منه الغني والفقير وهو قول الامام
مالك وعامة الفقهاء

والذين قالوا يقسم أربعة أخماس أو خمسة اختلفوا فيما يفعل بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم القرابة بعد قبضه عليه الصلاة والسلام فقال قوم يرد على سائر الذين لهم الخمس وقال قوم بل يرد على باقي الجيش وقال قوم بل سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للامام وسهم ذى القربى لقرابة الامام

وقال قوم بل يجعلان في السلاح والعدة واختلفوا في القرابة من هم فقال قوم بنو هاشم فقط وقال قوم بنو عبد المطلب وبنو هاشم وسبب اختلافهم هل الخمس يقصر على المذكورين أم بعدى لغيرهم وهل ذكر تلك الاصناف في الآية المقصود منها تعيين الخمس لهم ام قصد التنبيه بهم على غيرهم فيكون ذلك من باب الخاص أريد به العام

فمن رأى أنه من باب الخاص أريد به الخاص قال لا يتعدى بالخمس تلك الاصناف المنصوص عليها وهو الذى عليه الجمهور

ومن رأى أنه من باب الخاص أريد به العام قال انه يجوز للامام أن يصرفها فيما يراه صلاحاً للمسلمين واحتج من رأى سهم النبي صلى الله عليه وسلم للامام بعده بما روي عنه عليه السلام من أنه قال اذا أطمع الله نبياً طعماً فهو للخليفة من بعده

وأما من صرفه الى الاصناف الباقية او الى الفاتحين فتشبيها بالصنف المحبوس عليهم وأما من قال القرابة هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب فانه احتج بحديث جبير بن مطعم قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى لبنى هاشم وبنى عبد المطلب من الخمس قال وإنما بنو هاشم وبنو المطلب صنف واحد ومن قال بنو هاشم صنف فلائهم الذين لا تحمل لهم الصدقة واختلف

العلماء في سهم النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس فقال قوم الخمس فقط ولا خلاف عندهم في وجوب الخمس له غاب عن القسمة أو حضرها

وقال قوم بل الخمس والصفى وهو سهم مشهور له صلى الله عليه وسلم وهو شيء كان يصطفيه من رأس الغنيمة فرس أو أمة أو عبد وأجمعوا على أن الصفى ليس لأحد من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبائور فانه قال يجري مجرى سهم النبي صلى الله عليه وسلم

والغنيمة لا يؤخذ منها شيء بلا إذن الامام ومن تعدى وأخذ من غير إذن فهو حرام ويسمى غلولا ويعاقب صاحبه عقابا شديداً بل يحرق متاعه بالنار لانه صلى الله عليه وسلم أحرق متاع الغال وضربه وأحرق الخليفان الراشدان بعده وفعلهما رضى الله عنهما يدل على أن ذلك جائز شرعاً ولم يكن فيه فسخ ويكون ذلك من باب العقوبة بالمال وكان صلى الله عليه وسلم يقول الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة قال الله تعالى (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) قال أكثر المفسرين ان هذه الآية على ظاهرها قالوا وهي نظير قوله تعالى في مائمي الزكاة (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) الى آخر الآية الشريفة

وقد روي انه اذا جاء يوم القيامة وعلى رقبة الغال ما غلّ ازدادت فضيخته وعن ابن عباس أنه قال يمثل له ذلك الشيء في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فنزل اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع في النار ثم يكلف أن ينزل اليه فيخرجه فيفعل ذلك به وعن أبي هريرة قتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبد فقال الناس هنيئاً له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي أخذها يوم خيبر

من المغانم لم تصبها المقاسم تشتعل عليه ناراً فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك
أوشراكين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شراك أوشراك من نار وقال أبو مسلم ليس المقصود من الآية
ظاهرها بل المقصود تشديد الوعيد على سبيل التمثيل كقوله تعالى (إنها
إن تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض
يأت بها الله) فإنه ليس المقصود نفس هذا الظاهر بل المقصود إثبات أن الله
تعالى لا يعزب عن علمه وعن حفظه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء
فكذا ههنا المقصود تشديد الوعيد والمعنى أن الله تعالى يجازي الغال يوم
القيامة وإنما يجازيه لأنه تعالى لا يخفى عليه خافية وعن ابن حميد الساعدي قال
استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أسد على الصدقة فلما قدم
قال هذا لكم وهذا أهدي لي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر
فقال ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي
فهل جلس في بيت أمه أو في بيت أبيه فينظر أهدي إليه أم لا فوالذي نفسي
بيده لا يأخذ منها أحد شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة إن كان بعيداً
له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها ثغاء ثم رفع يديه الشريفتين حتى رأيت
عفرة أبطه ثم قال اللهم هل بلغت

واختلف العلماء في سلب المقتول فذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أن
من قتل كافراً في الحرب في الإقبال أو الأدبار هارباً أو مرتدّاً لأصحابه على
الوجوه كلها استحق سلبه وبهذا قال أبو الثور واختاره ابن المنذر واستدل
بحديث سلمة وهو ما رواه البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع رضي
الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على جمل

احمر فأناخه ثم تقدم فتعدى مع القوم وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقة في الظهر وبعضنا مشاة اذخرج يشتد فأتى جملة فاطلق قيده ثم أناخه وقعد عليه فاثاره فاشتد به الجمل فاتبعه رجل على ناقة وقال سلمة فخرجت أشتد فكنت عند ورك الناقة ثم تقدمت حتى اخذت بخطام الجمل فأنخته فلما وضع ركبتيه بالأرض اخترطت سيني فضربت رأس الرجل فقتلته ثم جئت بالجمل أقوده وعليه رحله وسلاحه فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه فقال من قتل الرجل قالوا ابن الاكوع قال له سلمة أجمع هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصراً

واختلفوا هل يشترط في استحقاقه السلب قول الامام من قتل قتيلاً فله سلبه فذهب الشافعي وأحمد أن السلب للقاتل قال الامام ذلك أو لم يقله ومذهب أبي حنيفة اذا قال الامام من قتل قتيلاً فله سلبه استحققه القاتل وان لم يقل الامام ذلك فهو من جملة الغنيمة ومذهب مالك اذا قال الامام ذلك بعد القتال جاز وان قاله قبله لم يجز واختلفوا في السلب هل يخنس أم لا فذهب الشافعي وأحمد الى أنه يخرج من جملة الغنيمة ولا يخنس وقال مالك يخرج من الخمس ويخنس وفي قوله ان شاء الامام خمسه وان شاء لا يخنسه حكاه النووي في شرح مسلم وقال اختاره اسماعيل القاضي

(تنبيه) ذهب الاوزاعي الى انه يجوز سلب القتلى وتركهم عراة وبهذا قال احمد لقوله صلى الله عليه وسلم في قتل سلمة له سلمة أجمع وكره ذلك الشوري وابن المنذر لما فيه من كشف العورة اهـ

واحدروا ممن يثبطكم عن فريضة القتال الذي هو اليوم فرض عين عليكم

عند كافة العلماء وقد اتفق العلماء انه اذا نزل العدو بأرض الاسلام تصير مدافعتة فرض عين على كافة الانام وانظروا ما وقع لمن كان قبلكم حيث نبذوا الشريعة وركنوا للراحة واشتغلوا بأمور الزراعة والتكسب والاستراحة وصار يتحيل عليهم بأدني التحيلات ويظهر لهم المحبة والصدقة والمصافاة الى أن ينتهز فيهم فرصة يخرج عليهم ووجهته النكال اليهم فندموا حيث لا ينفعهم الندم وما با عهد من قدم قال ابن عرفة منع علماؤنا المصالحاة على أن يعطينا أهل الحرب مالا كل عام وقد طلب الطاغية ذلك من عبد الله بن هارون على أن يعطوه مائة ألف دينار في كل عام فشاور الفقهاء في ذلك فقالوا له ان الذي يصيبه أهل الثغور منهم أكثر من مائة ألف فرجع الى رأيهم وقد أراد هذا العدو أن يفعل معنامل ذلك نعوذ بالله من هذه المسالك وانظروا رحمكم الله كيف احتال العدو وسمح باعطاء المال لاجل أن يتفرق من الثغور أهل الشجاعة والبسالة ويتركوا الاستعداد حتى اذا خرج عليهم بلغ فيهم آماله

ولهذا كره العلماء تلك المصالحاة وأخذ المال من العدو اذا كان العدو في أرضه طالباً من أهل الاسلام ترك قتاله وهم قادرون عليه ومن استشهد بصلحه صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وانه رضي بشروطهم فيجاء بان ذلك لحرمة البيت الحرام وانه ما خرج من المدينة الا معتمراً لا محارباً ولما دخل الثنية بركت به صلى الله عليه وسلم ناقته فقال الناس حل حل فأناخت فقالوا خلأت القصوى خلأت القصوى فقال صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصوى وما ذاك لها بخلق وانما حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون بها حرمت الله الا أعطيتها لهم ثم زجرها فوثبت به فعدلت حتى نزل باقصى الحديبية مع علمه ويقينه بما أوحى اليه ان الله

سيفتحها عليه قال تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً) وبهذا يتحقق أن صلحه صلى الله عليه وسلم كان تعظيماً لحرمة الله لا لغيره كما تقدم وقد أجاز أبو حنيفة ومالك والشافعي الصلح اذا كان العدو مطلوباً في بلده ورأى الامام فيه مصلحة للاسلام الا أن الشافعي يقول لا يجوز الا اذا اخطه الاسلام له فحينئذ لا تزيد مدته عن المدة التي صالح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار قريش عام الحديبية واختلف الأئمة في ذلك لقوله تعالى (فاذا انسلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) وقوله تعالى (قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقوله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وعن مجاهد أن هذه الآية منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الخ . والصحيح أنها ليست منسوخة وأنها نزلت في مشركي العرب وقال في روح البيان أنه أمر فيه سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم ألا يطلب منهم الصلح الا اذا طلبوه لانه صلى الله عليه وسلم كان ظاهراً عليهم وطالبهم في أرضهم والصحيح أن الامر موقوف على الامام فيما هو على مصالح الاسلام والسلم يكون بالطمع في اسلامهم أو بأن يعينوهم على قتال غيرهم أو باعطاء الجزية كما قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقال الحدادي في تفسيرها لا تجوز مصالحة الكفار وتركهم من غير أخذ الجزية اذا

كان بالمسلمين قوة وهذا قول الامام الشافعي لا يجوز ترك القتال الا بالاسلام أو اعطاء الجزية ويؤيد قوله الآية الكريمة (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) انما الحياة الدنيا لعب ولهو قال أبو الليث في تفسير هذه الآية مانصه هذا دليل على أن أيدي المسلمين اذا كانت عالية على المشركين لا يجوز لهم أن يجيبوهم الى الصلح لما فيه من ترك الجهاد وكان صلى الله عليه وسلم يصالحهم على عدم موالاتهم لمن يعاديه وعدم خروجهم عليه وعلى اعطاء الجزية وهؤلاء هم أهل العهد والذمة وكان صلى الله عليه وسلم يقرهم على دينهم ويدافع عنهم ويمنع قتلهم حتى قال صلى الله عليه وسلم من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وان ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً وعن عمر رضي الله عنه قال أوصيكم بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفي لهم عهدهم أن يقاتل من وراءهم ولا يكافوا الا طاقتهم وكان صلى الله عليه وسلم يجير ومن استجار به صلى الله عليه وسلم ويرجعه الى محله آمناً ويسمعه كلام الله وقد اوحى اليه سبحانه قوله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) وأما اذا كان العدو طالباً للمسلمين في بلادهم وبهم ضعف فيجوز لهم اعطاء المال ليرفع عنهم ويشهد لذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم عزم عليه في غزوة الخندق حين تجمعت عليه الجموع لحربه وأراد أن يعطى عينة بن حصن والحارث بن عوف رئيسي غطفان ثلث ثمار المدينة فصالحهم بها على انهم يرجعون لاما كنهم ويتركون القتال فاستشار السعدين في ذلك فما رضيا وقالوا والله ما لهم علينا الا السيف فصوب رأيهما صلى الله عليه وسلم وما عزم على هذا الصلح الاشفقة على أصحابه من كثرة جيش العدو فاستحسن صلح العدو على أخذ الثمار والذهب من

أرض الاسلام لأنه يصلح ويتركه يمحث بارض الاسلام التي هو بها ولما رأى شدة أصحابه وعزمهم على الدفاع صوب رأيهم ورجع اليه ولهذا قال الاوزاعي يجوز أن يصلح الامام الكفار على شيء يدفعه المسلمون اليهم اذا دعت الى ذلك ضرورة فتنة أو غير ذلك من الضرورات وخالفه الشافعي فقال لا يعطى المسلمون الكفار شيئاً الا ان يخافوا أن يضطلموا لكثرة العدو وقتلهم أو لمحنة نزلت فيجوز لهم اعطاء المال على خروجهم من أرض الاسلام وكان ذلك قياساً على اجماعهم على فداء اسرى المسلمين لان المسلمين اذا صاروا الى هذا الحد فهم بمنزلة الاسارى وأجمع العلماء على انه متى ما حل العدو بلاد الاسلام وكان طالباً للمسلمين في بلادهم مريداً تملك رقابهم وأموالهم فانه لا يجوز الصلح بحال قال في المعيار في كتاب الجهاد من جواب لبعض فقهاء تلمسان مانصه : لا يجوز الصلح اذا كان العدو طالباً للمسلمين وان وقع وجب تقضيه لاسيما ان طال مدته وقد عادت على العدو أهلكه الله مصلحته وعلى المسلمين مفسدته وان تخيلت فيه مصلحة فهي للعدو أعظم من وجوه مكملته وهي أنه يتحصن في تلك المدة ويكثر من آلات الحرب والعدة فيتميز على المسلمين ذلك فيصعب عليهم تحصيل المسالك فعلوم اذا وقع الصلح فهو مصلحة للعدو ومفسدة للاسلام فلا يكون له في نفس الامر انبرام فالصلح على هذه الحالة يجب تقضيه بمقتضى الشرع لانه غير مبرم فحكمه غير لازم عند من حقق أصول الشريعة والله سبحانه وتعالى يقول (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) الآية الشريفة وهذا استفهام انكاري والمعنى أنه محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فيه ولا تحدثوا به أنفسكم ثم قال تعالى

(كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة) أى قرابة ولا حلفا ولا عهدا قاله غير واحد من المفسرين : قال الحافظ الامام أبو العباس رحمه الله فى معياره اثناء جواب له ما نصه : كيف يوثق بهم عند قوتهم وظهورهم وكثرة عددهم ووفور عددهم اعتقادا بوفائهم بعهودهم فى شريعتهم ونحن لا نقبل شهادتهم بالاضافة اليهم فضلا عن قبولها بالاضافة اليها كيف يعتمد على زعمهم ووعدهم بالوفاء ؟

وقال غيره ما معناه أن العهد أعلى مراتبه أن يكون شهادة ونحن لا نقبل شهادة بعضهم على بعض فكيف تقبلها على المسلمين ونعتمد على زعمهم وعدهم بالوفاء فهذا خرق للكتاب والسنة والاجماع بلا نزاع وقال تعالى مخبرا عن دوام معاداة الكفار للمؤمنين وأنهم لا ينفكون عنها (لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) الى آخر الآية الشريفة وقال تعالى (ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو) قلت واذا كان مطلق الصلح لا يجوز عند كون الجهاد فرض عين فكيف يجوز على الدوام والاستمرار وأخذ المال منهم لترك قتالهم حتى يحصل للناس الفشل باليأس من الجهاد كما هو الحال فى هذه الاعصار ؟

قال التسولى اذا نزل عدو بارض الاسلام أو قريبا منها يريد الدخول اليها فان الجهاد فرض عين على امام ذلك البلد وأهله شيوخا وشبانا أحرارا وعبيدا بل على المرأة ان كانت لها قدرة ولا يتوقف قتالهم للعدو النازل على مشورة الامام ولا سيما ان بعد منهم بل وان لم يكن لهم امام تعين عليهم مدافعة العدو ونصب امام فان لم يقدر أهل ذلك البلد مع امامهم على مقاومة العدو

تعين على أقرب الأئمة اليهم وعلى رعيته أن يعينوهم فإن لم تكن فيهم كفاية ومقاومة أيضا وجب على من والاهم من أئمة المشرق أو أئمة المغرب الى سوس الاقصى الى بغداد بل والى الهند مثلا ان يعينوهم بالجيش والعدة والعدد وان عصى من والاهم فلم يعن تعين على من والاه وكذلك قال ابن جزى في قوانينه ويتعين الجهاد بأمور

أحدها أمر الامام فمن عينه الامام وجب عليه الخروج والثاني ان يفجأ العدو بلاد الاسلام فيتعين عليهم دفعه فان لم يمثل لزم من قاربهم فان لم يمثل الجميع وجب على سائر المسلمين المدافعة حتى يندفع العدو

وقال الامام أبو عمر بن عبد البر يتعين على كل أحد ان حل العدو بدار الاسلام محاربا لهم ان يخرج اليه أهل ذلك البلد خفافا وثقالا شيوخا وشبانا ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر سواد المسلمين وان عجز أهل تلك البلدة عن دفع عدوهم كان على من جاورهم أن يخرج حسب ما لزم أهل تلك البلدة وكذلك أيضا من علم بضعفهم وأمكنه غياثهم لزمه الخروج

فالمسلمون كلهم يد واحدة على من سواهم ولو قارب العدو دار الاسلام ولم يدخلها لزمهم أيضا الخروج

وقال ابن بشير اذا نزل قوم من العدو بأحد من المسلمين وكانت فيهم قوة على مدافعتهم فانهم تعين عليهم المدافعة فان عجزوا تعين على من قاربهم نصرتهم انتهى

قال المازرى فان عصى الحاضر أو من والاه ولم يدفع تعين الوجوب

على من يليه ونصوص أهل المذاهب في هذا كثيرة لا تحصى وإنما المخاطب
بالتعيين المذكور إنما هو الإمام اذ هو المكاف باستنفار الرعية لنصرة من
والاه ويجب على من استنفره لذلك طاعته ولا يتكل على الرعية أن تفعل
وقال ابن طلحة يلزم الإمام حمل الناس على الحرب وإن اتكل على أن
يفعل الناس بأنفسهم ضاع الباب والعدو إذا نزل بارض الاسلام وعجز أهل
تلك الارض عن مدافعة او لم يعجزوا ولكنهم عصوا وتركوا دفعه فتجب
المدافعة على من والاهم خوف أن يتمكن العدو من تلك الارض وإذا تمكن
انتقل الى غيرها وهكذا فيؤدي ذلك الى كثرة الارتداد واستئصال الاسلام
وهكذا وقع لأهل جزيرة اندلس فانهم تركوا الاستعداد قال سيدي
العربي الفاسي لا يبرأ المسلمون من عهدة المدافعة ونصرة من عجز الا اذا
افرغوا جهدهم في ازالة الكفار عن المدائن التي أخذوها من المسلمين
فلو نازلوهم ولم تفتح وجب عليهم معاودتهم كما أمكنهم ذلك حتى يفتحها
الله لهم

وقد أفتى سيدي شقرون أحد حفاظ المتأخرين بأن الجهاد في هذا
الزمن فرض عين وورد في فلك السعادة ان الجهاد اليوم فرض عين لأنهم
قالوا اذا نزل العدو بساحة الاسلام فالجهاد فرض عين ولا يخالف لهذا القول
وقال ابن حبيب سمعت أهل العلم يقولون ان نهى الإمام عن القتال
لمصلحة حرمت مخالفته الا أن يدهمهم العدو

وقال ابن رشد طاعة الإمام لازمة وإن كان غير عدل مالم يأمر بمعصية
ومن المعصية ترك الجهاد المتعين على ما تقدم والله أعلم

فاحذروا أيها المسلمون تغرير أولئك المتسمين بسمه الاسلام وليسوا

منه في شيء . احذروا أن تسمعوا لهذهم وخرفهم . احذروا ما ينفثونه من سمومهم . احذروا دعوتهم الى الاستسلام للعدو والخضوع له فانهم منافقون يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون

خضعوا لعدوهم وباعوا دينهم بدنياهم وصاروا من أعوانهم يقودونهم ليمكنوهم من أراضي اخوانهم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

يسعون لهم في تمهيد البلاد وتملك رقاب العباد ليركوا قتالهم وتكون كلمتهم العليا ومعاذ الله أن ندعن للعدو وفينا عرق ينبض ودم يجري ، وإن هؤلاء الذين يدعوننا الى السلم والاذعان للعدو يجب قتالهم وماؤاهم جهنم وبئس القرار وإن القوم الذين يعاضدون الكفار على المؤمنين ويقاتلونهم لا شك في كفرهم وارتدادهم والعياذ بالله تعالى من قوم يعملون على اذلال الاسلام وأهله واعزاز الكفر وأهله وأى كفر أكبر من هذا وإن لم يكن هؤلاء مرتدين فمن هم المرتدون؟

إن المطلع العدو على عورات المسلمين كما ورد في المختصر ومسلم كان نديق فكيف يكون حال من أعان العدو بالسلاح أذله الله ودمره وأذاقه أشد العذاب وقصارى القول إن هؤلاء الملاحين كفرهم مما لا شك فيه وإذا ظفرت بهم جيوش المسلمين أيدها الله وقوى شوكتها وكتب لها النصر الدائم والفتح المبين لا تقبل لهم توبة في هذه الحالة لأنهم لا يوثق بهم والواجب قتلهم بكل حال وراحة المسلمين من شرهم

وقال التسولى هؤلاء القوم كونهم طليعة للعدو ويطلعونه على عورات المسلمين وكونهم يقاتلون معه بالسلاح وكونهم يساكنونه بمصره وتحت

راية قال الامام الزياتي في نوازله (أن المختار في حقهم أن الفتاوى الصادرة فيهم عن شيوخنا انه يجب قتالهم وأخذ مالهم على حكم الفيء والغنيمة لأن الدار دار الكفر ومالهم انما هو تحت أيدي الكفار لا تحت أيديهم لأنهم ينزعونه منهم حباً أو كرهاً فالدار دارهم والايالة لهم والنساء ينزعن من أزواجهن حتى يصلن الى بلد الاسلام فيحكم بطلاقهن ويحال بينهن وبين أزواجهن أصلاً ويزوجن ولا يجوز ابقاء نسائهم معهم)

وقال في المعيار ما محصله من بقي ساكننا من المسلمين معهم ولم يهاجر الينا بعد استيلاء الطاغية على أرضه أوفر منا اليهم فلا مال له ولا ولد لأن اليد للكافر كما أن الدار له قياساً على من كان كافراً بالاصالة وأسلم وبقي معهم فانه لا مال له ولا ولد باتفاق مالك وأبي حنيفة ثم قال فالمسلم بالاصالة الباقي في أرضهم والهارب منا اليهم مقيس على الذي كان كافراً بالاصالة والباقي في أرضهم بعد اسلامه حتى غنم ملحق بهم في جميع الاحكام فكان قياساً في غاية الحسن

ثم قال فإن حاربنا هؤلاء المسلمون الذين فروا منا اليهم أو بقوا ساكنين معهم من أول مرة ترجعت استباحة دماءهم وإن أعانوا بالمال على قتالنا ترجعت استباحة نسائهم وقد ترجح سبب ذراريتهم اه باختصار

وحيث علم من هؤلاء تعظيمهم لدين الكفر ونصره واهانتهم لدين الاسلام فذلك ظاهر في ردتهم لأن الردة والعياذ بالله اما بلفظ صريح واما بفعل يقتضيها كشد الزنار وتعظيم الكفار ونصرهم والتزني بزيهم ثم ان مقاتلتهم مع العدو ونصرتهم له واطلاعهم اياه على عورات المسلمين أقوى في الدلالة على اعتقاد الكفر ممن لبس الزنار وانما قلنا ذلك لانه يتضمن الكفر

ويدل عليه لأنهم يعلمون أن العدو الكافر إذا استولى على الوطن اندثر
الاسلام في ذلك الوطن ولم تبق كلمة للاسلام فهم يقاتلون لتكون كلمة الذين
كفروا هي العليا

وقد قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن
يفعل ذلك فليس من الله في شيء) الى آخر الآية الشريفة . قال الجلال ليس
من دين الله في شيء ومعلوم ان من لم يكن في شيء من دين الله فهو الكافر
اذلا وسط بينهما

وقال البيضاوى في قوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم) الى آخر
الآية الشريفة من جملتهم . وهذا كله في توليتهم من غير قتال معهم ولا مناسكتهم
بل المواصله والمودة كما كانت توليتهم في عهده عليه السلام وأما توليتهم في
القتال والمساكنة وغيرها مما مر فلا يشك عاقل أنها دالة على اعتقاد الكفر
اذ تلك أشد من لبس الزنار وحده الدال عليه

ولهذا قال ابن زكرياء وغيره من تولى الكفار بالقتال معهم فهو منهم
ويقاتل كقتال الكفار وصدق عليه قوله تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في
سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) الى آخر الآية الشريفة
ولا كفر أعظم من هذا

وقد حقق ذلك وزاده بيانا التزيي بزيمهم وذلك تعظيم للكفر فحينئذ لا
اشكال في كفره لقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم) ولقوله صلى الله
عليه وسلم « من تشبه بقوم فهو منهم » ولأنهم جحدوا ما علم من الدين ضرورة
فان اعتقاد المعتقد تعظيم دين الكفر واهانة الاسلام انكار لما علم من الدين
بالضرورة من وجوب اعزاز الاسلام ونصره وتعظيمه واهانة ما سواه فيكون

حينئذ بمنزلة من جحد وجوب الصلاة وأكل لحم الخنزير والميتة وجاحد ذلك كافر اجماعا فيجرب فيهم الخلاف الذي بين أصبغ وابن القاسم فاصبغ يحكم فيهم بحكم الحريين بالأصالة من سبي ذراريهم ونسائهم واسترقاق الجميع وقسمة أموالهم بين الجيش وابن القاسم يحكم فيهم بحكم المرتدين الذين لم يحاربوا فهاهم لهم ان تابوا

قال التسولي لكن هؤلاء استندوا لدار الكفر فلا يكون المال لهم ولو على قول ابن القاسم وان لم يتوبوا وقتلوا فهاهم لبيت المال لا للجيش ولا تسبي نسائهم وتجير صغارهم على الاسلام وعلى قول ابن القاسم درج خليل وابن عرفة على قول أصبغ فقال بعد ذكر القياس المتقدم عن المعيار ما نصه :

ولو ارتد جمع ومنعوا أنفسهم ثم أخذوا فالحكم فيهم حكم الحريين أو المرتدين تقلا عن حكم ابن حبيب عن أصبغ وابن القاسم وغيرهما قياسا على فعل أبي بكر في أهل الردة بالسبي وحكم عمر فيهم بحكم المرتدين وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه لما استولى على أهل الردة الذين منعوا الزكاة وأباح سبي نسائهم وذراريهم واسترقاق الجميع وجرت المقاسم في أموالهم وحكم فيهم بحكم المحاربين بالأصالة وأوثق المقاتلة من رجالهم حتى يقتلوهم لما رآه رضي الله عنه من جحدهم لوجوب الزكاة المعلومة من الدين بالضرورة فقال له عمر رضي الله عنه يا خليفة رسول الله هؤلاء قوم مؤمنون شحوا بأموالهم وقالوا والله ما رجعنا عن الاسلام فلم يسمع أبو بكر رضي الله عنه له بل قال والله لو منعوني عمالا كانوا يؤدونه للنبي صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه

قال أبو بكر ذلك والمقاتلة موثقون فسرّحهم عمر دون فداء ورد
النساء لازواجهن

قال ابن عرفة لا منافاة بين حكمي أبي بكر وعمر ولا مناقضة لأن الحكم
بالسي في قوم لا يناقضه الحكم فيهم بالمن عليهم وذلك لأن المن مسبب عن
السي والمن إنما يكون بعد الأسر والسي فابو بكر حكم في الأسرى بالقتل
أو السي وعمر حكم فيهم بالمن بعد ذلك وقد يحكم الامام الواحد بالسي
في قوم وبعد ذلك بمن عليهم ونحوه في التوضيح

وقد تحصل من هذا كاه أن هؤلاء القوم حيث علم تعصبهم لدين
الكفر على ما تقدم فهم مرتدون قطعاً ولا يجري فيهم لمحاربتهم إيانا خلافاً
فيجب حينئذ استرقاق ذريتهم ونسائهم وتحصل بذلك المصلحة التي
لا شك فيها لأن فيها زجراً لأمثالهم باسترقاق ذريتهم ونسائهم ويكفي أنه عمل
الصديق خليفة رسول الله ورفيقه في الشدة والهناء المنزل فيه (ثاني اثنين إذ
هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) وهو أفضل من كافة الصحابة
بل ومن كافة الأمة وأرفعهم وأعرف منهم بالشرعية وأعلمهم ولم يفعل عمر
ما يوجب نقض فعل أبي بكر ولما راجع أبا بكر في ذلك وما قبل منه علم أنه
الحق فسلم وسكت وأما إطلاق الأسارى منا عليهم فليس فيه دليل على نقض
فعل الصديق وقال تعالى (فأما منا بعد وأما فداء) وقال صلى الله عليه وسلم أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم هداًنا الله بهديهم ومتعنا برضائهم ومحبتهم اه
وقد اختلف العلماء في قتل الجواسيس فبعضهم أوجب وبعضهم منع
فالقائل بالقتل وهو مالك وابن عقيل من أصحاب أحمد ومن تبعهم آخذين
بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من أنه قتل جاسوساً من المشركين وما نعه من

قتل حاطب مع انه قد حبس عليه الا لكونه بدرى لانه لما أستاذنه عمر في قتله قال له وما يدريك لعمل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

وقال هؤلاء انه صلى الله عليه وسلم علل بعلّة مانعة من القتل منتفية في غيره ولو كان الاسلام مانعا من قتله لم يعلل بأخص منه لان الحكم اذا علل بالاعم كان الاخص عديم التأثير وهو أقوى ومن قال بعدم القتل كأبي حنيفة والشافعي واحمد استدل بعدم قتله لحاطب بقطع النظر عن التعليل وكأنه لم يبلغهم قتله للجاسوس المشرك والله اعلم قال الامام احمد وينبغي ألا يستحق التبليغ للأمن لان دخول مثله خيانة فحقه أن يقتل . قال ابن عبد السلام يجوز قتل من قدم منهم لتجارة ثم تبين أن قدومه إنما كان للتجسس وله عين لاهل الحرب والامام مخير فيه بين القتل والاسترقاق انتهى

ولا يخفى أن كل من تلبس بمعصية توعد الله عليها بالعقاب الأخرى فان الامام يجب عليه أن يعاقب فاعليها سواء كان فيها حق الله أو للآدمي ككتمان الجواسيس والغصاب وحمايتهم والتعصب لهم لما في ذلك من الفساد وادخال الضرر على المسلمين في دينهم ودنياهم وتمحض فيها حق الله فقط كالاكل في نهار رمضان وترك الصلاة واقامة الاذان وترك النهي عن المنكر مع القدرة لان من رضى بفعل قوم فهو منهم اذ سبب هلاك الامم السابقة وخزيهم ولعنهم انهم كانوا لا يتناهون عن المنكر قال تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) قال قتادة ومجاهد لعنهم مسخهم قردة لتركهم النهي عن المنكر وكذلك يذم من بعدهم ممن فعل فعلهم وقال تعالى (ولا تركنوا

الى الذين ظلموا فتمسكم النار) قال البيضاوى أى لا تميلوا لهم أدنى ميل فان
الركون هو الميل القليل كالنزى بزيهم وتعظيم ذكرهم

واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما يلحقه هذا الوعيد
فما ظنك بالركون الى الظالمين أى الموسومين بالظلم بالميل اليهم كل الميل ثم
بالظلم نفسه والانهماك فيه ؟

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا لظالم بالبقاء فقد
أحب أن يعصى الله في أرضه » ولقد سئل سفيان الثورى عن ظالم أشرف
على الهلاك فى بركة هل يسقى شربة ماء ؟ فقال لا ف قيل له يموت فقال
دعه يموت

فكيف بمن يتستر على الجواسيس ونحوهم ويطعمهم أو يساكنتهم أو
يأوون اليه فيجالسهم أو يحسن اليهم أو يواليهم ؟

وكيف بالتعصب لهم ومنع الامام من الانتصاف منهم ؟ ان واحدا من
هذه الامور معصية فكيف بجميعها أو غالبها ؟

وهذا كانه فيمن لا يباشر لان كتمه أو تعصبه أو مجالسته لهم أو مسا كنته
لهم مع علم التغير عليهم ان قدراً أو خروجه من بينهم ان لم يقدر راضيا
بعلمهم كان معينا لهم ذلك على الاستمرار في معصيتهم ومن رضى فعل قوم
فهو منهم

ولذلك استوجبوا ما تقدم من العقاب فى الآيتين الكريمتين فكيف
بالمباشرة . ولقد قال الفقهاء كما فى ابن عرفة وغيره تحرم الاقامة والسكنى عند
قوم لا يتناهون عن المنكر ولا زاجر لهم يزجرهم عنها وان لم يباشر هو معهم
ما هم عليه فلا مؤاخذه على الامام اذا أخذهم من جملتهم أو قاتلهم أو عاقبهم

ولا سيما اذا أخذوهم وأخبرهم بان من لم يرض بفعلهم فليخرج من بينهم
وقد قال صلى الله عليه وسلم « انصف أخاك ظلماً أو مظلوما » قالوا
ان كان مظلوما فنعم وان كان ظلماً فكيف ننصره ؟ فقال ننصره بأن تمنعه
من ظلمه

وقال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)
والتستر على الجواسيس وعدم التناهي عن المنكر ومخالطة أهله اثم وعدوان
فكيف بحمايتهم أو مواساتهم كما هو حاصل من أهل الفساد ؟
قال ابن العربي في قوله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم
من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم) فقد اتفق الاثمة الاربعة على أن من يفعل المعصية يقاتل
ومحارب كما لو اتفق أهل البلد على العمل بالربا أو ترك الجماعة أو تعطيل
الجمعة أو ترك الآذان أو منعوا محاربا بالذنب عنه فانهم يقاتلون على ذلك انتهى
وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم أخذ رجلاً بجريرة قومه روى مسلم
في صحيحه وغيره عن عمران بن حصين ان ثقيفا كانت حلفاً لبني غفار في
الجاهلية فاصاب المسلمون رجلاً من بني غفار ومعه ناقة له وأتوا به الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخذتني وأخذت سائقة الحاج فقال صلى الله
عليه وسلم أخذتكم بجريرة حلفائكم ثقيف وكانوا أسروا رجلين من المسلمين
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر به وهو محبوس فيقول يا محمد اني
لمسلم فيقول صلى الله عليه وسلم لو قلت ذلك وأنت تملك أمرك لأفلحت
فقداه النبي صلى الله عليه وسلم برجلين من المسلمين وأمسك الناقة لنفسه

ونقله ابن العربي في الاحكام في سورة البقرة عند قوله تعالى (فان انتهوا فان الله غفور رحيم) ونقله في التبصرة محتجاً على أن ذلك من أحكام السياسة قال المازري أجاب الناس عن الحديث الكريم بثلاثة أجوبة أحدها أن يكونوا عهودوا على ألا تعرضوا لأصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لاهم ولا حلفاؤهم فنقض حلفاؤهم العهد ورضوا بذلك واستحبوه

والثاني أنهم كانوا لا عهد لهم فهم على الإباحة
والثالث أن في الكلام حذفاً ومعناه أخذت لك لنفاذي بك من حلفائك فهذا يؤخذ بجريرته وبجميع ما أخذه ولا يختلف فيه لأنه يتعصبه ولو بجأه أو بحمايته والرضا بفعله صار معيلاً له على ظلمه متسبباً بذلك لآتلاف أموال الناس ودمائهم

قال التسولي ووقفت على جواب الشيخ يوسف الرسوكي ويورك بن عبد الله السملالي قال مانصه :

نقل أهل المذهب في غير ما كتاب كنوازل القرويين فقد نقل جامعها عن ابن عمران الفاسي قال اذا فقد رجل ماله ووجدته قبل رجل من سرقة أو غصب أو معاملة بالذمة وكان أهله لا ينصف بعضهم بعضاً ويذبون عنه أن أريد أخذه والتناصف منه فإن أهله يؤاخذون به لأنهم كالمعينين له على جرمه ومن كان من أهله صالحاً لا يذب عنه لا يؤاخذ به لأن المعين بجأه والمنحاز إليه هو الذي يؤاخذ بما فعله المذنب باتفاق ابن القاسمي وأشهب لأنهما لم يختلفا في مؤاخذته وأما اختلافهما في عقابه بالقتل أو بالضرب والسجن فقال ابن القاسمي يقتل وكان أشهب يضرب مائة ويحبس سنة فإن هؤلاء يعاقبون

بما يقتضيه حالهم من ضرب أوسجن أو أخذ مال قال الشيخ مباره وقد يشهد للعقوبة بالمال وهو قوله صلى الله عليه وسلم ومن وجدتموه يصيد في حرم المدينة فخذوا سلبه» فقال عياض لم يأخذه من أئمة الفتاوى إلا الشافعي في قوله القديم وخالفه أئمة الامصار

قال النووي وقال به سعد بن أبي وقاص وجماعة من الصحابة ولا يضر الشافعي مخالفة أهل الامصار اذا كان مع السنة وهذا القول هو المختار وتعقبه الشيخ النووي بقوله لا شاهد لهم أى للنواوي ومن معه في الحديث المذكور لانه في حق من صاد في الحرم فبيد أن يقول به في غيره كمن رعى حيث لا يجوز له أو قطع شجرا مملوكا فلا يؤخذ سلبه وإنما عليه قيمة ما أتلفه قلت يرد هذا التعقب فان معنى قوله عليه الصلاة والسلام فخذوا سلبه أى فعاقبوه وبأخذ ماله على معصيته التي ارتكبها فان تمحض حق الله كالصيد في الحرم وعدم التناهي عن المنكر واخراج الصلاة عن وقتها مثلا مع قضائها في غير وقتها والأكل في رمضان نهارا قائما يؤخذ سلبه أى ماله فقط وان كان الحق لله ولا آدمي فيؤخذ ماله بحق الله وينرم بعد ذلك بحق الآدمي اذ ماصار حق للآدمي الا وفيه حق لله والحديث الكريم على أخذ السلب على معصية الله سواء كان معها حق لآدمي أم لا

ويدلك على هذا ما قالوه في الغاصب والمتعدى ونحوهما من انهما يؤديان حق الله وينرمان بما أتلفاه

وقد ورد أن الشافعي في القول القديم يجعل موضع الادب غرم المال للحديث وهو اختيار النواوي وبهذا يتم استشهادهم بالحديث الكريم عن العقوبة بالمال فالحجة به قائمة على منكر جوازها نقلا واستدلالا وفعل الخلفاء

الراشدين وأكابر الصحابة لها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مبطل لدعوى نسخها
قال التسولي وكتب مولاي محمد بن سيدي محمد الشريف السوسي الدرعي الى
السلطان وهو نازل بوداي قبل أخذه لفاس وتكلم بكلام طويل حاصله
الرضا بفتوى البرزي وقد اتسع القول فيها للفقهاء ابن الفقيه أبي القاسم
ابن خجوا وابن عقده الاعضادي وموسى بن علي الوزاني وكتب فيها الى ان قال
والذي أخطب به نفسي والتزم البقاء عايه الى حلول رمسى أن أقول أن
اقتري البرزي بجواز العقوبة بالمال ثابتة أي الخ

ثم قال القاضي المذكور قد قلت مخاطبا

قلت على النسخ حكيت الاجماع	ما القول في مخالفتي ابن الشماخ
وتابع البرزل ابن عقده	مع ابن خجوا حل ما قد عقده
وأوضح القول به الوزاني	موسى بما أعنى عن الاوزان
وفي جواب العربي الفاسي	كلام قد جل عن القياس

ومن هذا الجواب:

وقبلهم قال به ابن عرفه	وغيره يعرفه من عرفه
والنووي قال هو المختار	أني به الحديث والاثار
وهو قول الشافعي في القديم	فالخلف جار في الحديث والقديم

انتهى كلام العميري وحاصل اعتراضه انه لو صح الاجماع الذي حكاه
ابن رشد وتبعه ناظم التعليمات ماوسع هؤلاء الفقهاء المخالفة اذ لا يخفى ممارستهم
لمطالعة كتاب البيان لابن رشد وغيره وقد تبين ان هؤلاء الشيوخ كلهم على
جوازها مع تقرير اجراء الأحكام على مقتضاها خلافا لاطلاق ناظم العمليات

تبعاً لغيره وقد تبين من هذا كله ان في شرع الله حدا معلوما كالزنا والسرقة والحراقة والقتل ونحوها لا تجوز فيه العقوبة بالمال اتفاقاً لما فيه من تبديل الحدود المينة من الشارع عملاً بقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

وفي آية أخرى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وقال أيضاً جل ذكره (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) اللهم الا ان يتعذر اقامتها فيعاقب بالمال اختياراً لا خوف الضررين ودفعاً لا ثقل المفسدتين والذي أوصى به نفسي وأحض عليه اخواني اتباع ما أمرنا الله به ورسوله في الجليل والحقير والقليل والكثير

واعلموا انما أمرناكم بالاستعداد والمواظبة على الجهاد ومدافعة العدو عن البلاد عملاً بهدى خير العباد وبما أمر الله به وأوجبه على العباد واستمر على ذلك صلى الله عليه وسلم مدة حياته وتلاه الخلفاء الراشدون من أصحابه فنسأل منه تعالى ان ينظمننا في سلكهم ويمس علينا باتباع أثرهم في أقوالهم وأفعالهم

ومن المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض أئمة تحريض على الجهاد حتى لقد قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقه وحسابهم على الله تعالى »

وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك الفائزون) وقال تعالى (من يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم)

من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين (وقال عز وجل (واتبعوا لعلمكم تهتدون) وقال سبحانه (وان تطيعوه تهتدوا) وقال جل وعز (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقال تبارك اسمه (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) أى عن طريقته ودينه

وأخرج أحمد في مسنده والطبراني في الكبير بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم

وأخرج أبو داود مرفوعا انه عليه الصلاة والسلام قال « لازم منصورين على أعدائكم مادمتم متمسكين بسنتي وان خالفتم سلط الله عليكم أعداءكم لن ينزع خوفهم من قلوبكم حتى تعودوا الى سنتي »

ومن المعين على الجهاد واتفاق الكلمة واتباع الامر قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) أى الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام « أطع من أمر عليك ولو عبدا حبشيا » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى ومن يعص الامير فقد عصاني

وانما الامام جنة يقاتل من ورائه فان أمر بتقوى الله وعدل فان له بذلك أجرا وان قال بغيره فان عليه أثمه وقال الصديق رضي الله عنه في خطبته عند

يبعته « أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن غصيتهما فلا طاعة لي عليكم »
فالقوى منكم عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق والضعيف منكم قوى عندي
حتى أعطيه حقه

وقال عمر رضي الله عنه حين بويع للخلافة بعد أن صعد المنبر فحمد
الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال « ان الناس قد هابوا
شدتي وخافوا غلظتي وقالوا قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبو بكر وال علينا فكيف الآن وقد صارت
الامور اليه ولعمري من قال ذلك لقد صدق كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكنت عبده وخادمه حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راض
والحمد لله وأنا أسعد الناس بذلك ثم ولي أمر الناس أبو بكر رضي الله عنه
وكنت خادمه وعونه أخلط شدتي بليته فأكون سيفاً مسلواً حتى يغمدني
أو يدعني فما زلت معه كذلك حتى قبضه الله تعالى وهو عني راض والحمد لله
وأنا أسعد الناس بذلك ثم اني وليت أموركم وأعلم أن تلك الشدة قد تضاعفت
ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين وأما أهل السلامة
والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ولست أدع أحداً يظلم أحداً
ويتعدي عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخلد الآخر حتى
يذعنا بالحق ولكم على أيها الناس ألا أخبأ عنكم شيئاً من خراجكم وإذا
وقع عندي ان لا يخرج الا بحقه ولكم على ان أقيكم في المسالك وإذا غبتم
في البعوث فاني أبو العيال حتى ترجعوا أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم
قال سعيد بن المسيب وقسا والله عمر وزاد في الشدة في مواضعها واللين
في مواضعه وقال رضي الله تعالى عنه ما تصنعون معي اذا أنا اعوججت فقال

له الصحابة لورأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيفونا فقال عمر الحمد لله
ومن السنة أن يبايع الامير الجيش على ألا يفر كما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية

وفي البخارى عن سلمة بن الاكوع قال : بايعت النبي صلى الله عليه
وسلم ثم عدلت الى ظل شجرة فلما حضر الناس قال يا ابن الاكوع ألا تبايع
قال فقلت قد بايعت رسول الله قال وأيضا فبايعته الثانية فقلت له يا أبا مسلم
على أي شيء كنتم تبايعون قال على الموت وفيهم نزلت الآية الشريفة (لقد
رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل
السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها)

وفي البخاري أيضا عن مجاشع رضى الله عنه قال أتيت النبي صلى الله
عليه وسلم أنا وأخى فقلت بايعنا على الهجرة فقال مضت الهجرة لاهلها فقلت
علام تبايعنا فقال على الاسلام والجهاد وفي غيره بايعنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا
نأتى يهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نمصيه في معروف والسمع
والطاعة في السر والسر والمكره وأثرته على انفسنا ألا تنازع الامر أهله
وأن تقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم

ومن السنة أن يبايع الامير الجيش على أن لا يفر كما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الحديبية فانه كان يبعث الطلائع ويتفقد أخبار العدو ويجب
على الامير أن يعقد الرايات ويجعل كل فريق تحت راية ويجعل لكل فريق
شعارا حتى لا يقتل بعضهم بعضا وأن يدخل دار الحرب بتعبته لان فيها
احتياطاً وارهاباً للعدو وأن يدعو عند التقاء الصفين وأن يحرض الناس

على القتال بالصبر والثبات وأن يؤخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح
وينزل النصر الى آخره جميع ذلك في الاحاديث الصحاح ولا أعلم في شيء
منه خلافاً وقال القرطبي فاثبتوا واذكروا الله كثيراً

وحكم الذكر هنا ان يكون خفياً لان رفع الصوت في موضع القتال
من الافراد فيه الكراهة وروى عن مالك عن يزيد بن أسلم كتب أبو عبيدة
ابن الجراح الى عمر بن الخطاب يذكر له جموعاً من الروم ويستنجد منهم
فكتب اليه عمر بن الخطاب أما بعد فهما ينزل بعد مؤمن من منزل شدة يجعل
الله بعده فرجاً وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله يقول في كتابه (يا أيها
الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)

وأوصيكم اخواني بالرفق واللين وحسن المعاملة مع كافة عباد الله
وخصوصاً الضعفاء والتجار قال النبي صلى الله عليه وسلم « الراحمون يرحمهم
الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » وقال « الخلق عباد الله
وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله » وقال « أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحسنكم
أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون »

وكذلك أوصيكم بالرفق واللين مع الاسارى فان الاسير مثل الطير
المقفص لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً وأحسنوا اليهم ولا تؤذوهم ولا تقتلوهم
وأعرضوا عليهم الاسلام ورجبهم فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم ما دخل
الرفق في شيء الا زانه وما دخل العنف في شيء الا شانه وعن أنس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أرسل سرية قال انطلقوا بسم الله وبالله
وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا تغلو وضموا
غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وعن مالك انه بلغه عن

عمر بن عبد العزيز انه كتب الى عامل من عماله انه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا بعث سرية يقول لهم اغزوا بسم الله وفي سبيل الله تقاتلون من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا وقل ذلك لجيوشك وسراياك ان شاء الله والسلام عليك

وعن مالك عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر الصديق بعث جيوشا الى الشام فخرج مع يزيد بن أبي سنيان وكان أمير ربيع من تلك الارباع فزعموا أن يزيد قال لابي بكر اما أن تركب واما أن ننزل فقال أبو بكر ما أنت بنازل وما أنا براكب اني احتسبت خطاي هذه في سبيل الله ثم قال له انك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله وستجد قوما فخصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر فاضرب ما فخصوا عنه بالسيف واني موصيك بعشرة لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطعن شجرا مشمرا ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا لما كلة ولا تحرقن مخلا ولا تفرقنه ولا تغلل ولا تجبن

وقال مالك لا تقتل الاعمى ولا المعتوه ولا أصحاب الصوامع ويترك لهم من ما لهم بقدر ما يعيشون به وكذلك لا تقتل الشيخ الفاني قاله أبو حنيفة وأصحابه وقال الثوري والاوزاعي لا يقتل الشيوخ وقال الاوزاعي لا يقتل الحراث وقال الشافعي في الاصح عنه يقتل جميع هذه الاصناف والسبب في اختلافهم معارضة بعض الآثار فخصصوها لاهل الكتاب ولعموم قوله عليه الصلاة والسلام أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث وذلك ان قوله واذا انسلح الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يقتضي قتل كل مشرك راهبا كان أو غيره وأما الآثار التي وردت باستبقاء

هذه الاصناف فمنها ما رواه داوود بن الحبشي عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث جيوشه قال لا تقتلوا أصحاب الصوامع ومنها ما روي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه قال لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة أخرجه أبو داود ومن ذلك أيضاً ما رواه مالك عن أبي بكر أنه قال ستجدون قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ولا تقتلوا امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً ويشبه أن يكون السبب في الاختلاف في هذه المسئلة معارضة قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله تعالى (فاذا انسلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) الآية فمن رأي ان هذه ناسخة لقوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) لان القتال أولاً انما أيسح لمن يقاتل: قال الآية على عمومها ومن رأي ان قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) هي محكمة وانها تناول هذه الاصناف الذين لا يقاتلون استثنائها من عموم تلك فقد احتج الشافعي بحديث سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم وقال العلة الموجبة للقتل عنده انما هي الكفر يوجب أن تطرد هذه العلة في جميع الكفار وأما من ذهب الى أنه لا يقتل الحراث احتج في ذلك بما روى عن زيد بن وهب قال أتانا كتاب عمر رضي الله عنه وفيه لا تغلوا ولا تفسدوا ولا تقتلوا وليداً واتقوا الله في الفلاحين وجاء في حديث رباح بن ربيعة النهي عن قتل العنيف المشرك وذلك انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها فر رباح وأصحاب رسول الله على امرأة مقتولة فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ثم قال ما كانت هذه لتقاتل ثم نظر في

وجوه القوم فقال لاحدكم الحق بخالد بن الوليد فلا يقتل ذرية ولا عسيفا
ولا امرأة

السبب الموجب بالجملة لاختلافهم اختلافهم في العلة الموجبة للقتال ومن
زعم أن العلة الموجبة لذلك هي الكفر لمن لم يستثن أحدا من المشركين ومن
زعم أن العلة في ذلك اطلاق القتال للنهي عن قتل النساء مع أنهم كوافر استثنى
من لم يطق القتال ومن لم ينصب نفسه اليه كالفلاح والعسيف وصح النهي
عن المثلة واتفق المسلمون على جواز قتلهم بالسلاح واختلفوا في تحريقهم
بالنار فكره قوم تحريقهم بالنار ورميهم بها وهو قول عمر وروى عن مالك
وأجاز ذلك سفيان الثوري وقال بعضهم ان ابتداء العدو بذلك جاز والا فلا
والسبب في اختلافهم معارضة العموم للخصوص أما العموم فقوله (فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم) ولم يستثن قتلاً من قتل وأما الخصوص بها
ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في رجل ان قدرتم عليه فاقتلوه
ولا تحرقوه بالنار فانه لا يعذب بالنار الا رب النار واتفق عموم الفقهاء على
جواز رمي الحصون بالمجانيق سواء كان فيها نساء وذرية أو لم يكن ومما ورد أن
النبي صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على أهل الطائف وأما اذا كان الحصن
فيه أسارى من المسلمين وأطفال من المسلمين فقالت طائفة يكف عند رميهم
بالمجنيق وبه قال الاوزاعي وقال الليث ذلك جائز ومعتد من لم يحزه قوله
تعالى (لو نزلوا العذبة الذين كفروا منهم عذاباً أليماً) الآية وأما من أجاز ذلك
فكانه نظر الى المصلحة فهذا هو مقدار النكاية التي تجوز أن تبلغ بهم في
نفوسهم ورقابهم حينئذ

تنبيه - اذا بادر أحد من المسلمين قتل أسيراً من غير اذن الامام عزره

الامام لا فتياه عليه وبه قالت الكافة خلافا للاوزاعي وذكرها صاحب الكفاية اذا تترس الكفار في قلعتهم باسرى المسلمين وأطفالهم فان لم تدع الضرورة الى رميهم تركناهم صيانة للمسلمين والافان دعت الضرورة بأن تترسوا بهم في حال التحام الحرب وكانوا بحيث لو كففنا عنهم ظفروا بنا أو كبرت نكايتهم أو تعذروا أخذ قلعتهم جاز رميهم في الاصح ويتوقى المسلم بحسب الامكان هذا هو مذهب الشافعي وأحمد وأجاز أبو حنيفة رميهم مطلقا بالمنجنيق والنبل وغير ذلك بشرط توقي المسلم ما مكن وعلى هذا لو تترسوا في مركب ونحوه بالمسلمين والله أعلم اهـ

الله الله عباد الله خلصوا أنفسكم وأعراضكم من أيدي الكفار واغسلوا يادوى الهمم ملابس مرؤاتكم من العار وجاهدوا بالانفس والاموال فدرهم الجهاد بسبعين ألفا وكونوا كرجل واحد في التعاون والائتلاف وهذا مما لا ريب أن الادلة الشرعية والعقلية قد اتفقت على فرضية الاتحاد العام والاتفاق التام بين جميع المسلمين وهي كثيرة لا يمكن حصرها غير اننا نشير الى المهم منها فأما الادلة الشرعية فمنها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا) وقوله جل ذكره (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) وقوله جل شأنه (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال) الآية

وقوله عز وجل (انما المؤمنون اخوة أى ليعامل بعضهم بعضاً معاملة الاخوان من حسن الائتلاف والمواساة والمعاونة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحصى والسهر وقال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين كمثل عضو في جسد واحد اذا اضطرب العضو اضطرب الجسد كله فان المؤمنين ليس بينهم مال مفترق كما تدل عليه رواية البزار عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه عليه السلام قال مال المؤمنين مشترك فان اعانة المؤمنين بعضهم بعضاً بالمال والانفس من الامور المهمة التى تؤدى الى الاتفاق ويتسنى بها أمر الجهاد في سبيل الله الا ترى أن الغصن اذا انقطع عن الشجرة فلا يحصد الانتفاع به كما قال صلى الله عليه وسلم المسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً فكذلك المسلمون اذا تفرقوا وآثروا مصالح الدنيا على مصالح الدين ترفع البركة منهم ويستولى العدو عليهم فحق المؤمنين بعضهم على بعض كحق الوالد على ولده ومعاونتهم تكون سبباً لزيادة البر ونمو الخير وان غفلتهم سبب لا يقاعهم في المهالك كما قال صلى الله عليه وسلم ماضيع قوم حق اخوانهم الا ضيعهم الله في دينهم ودنياهم أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وقوله صلى الله عليه وسلم كونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله أى لا يترك نصرته المشروعة لاسيما مع الاحتياج والاضطرار اليها وقوله صلى الله عليه وسلم مامن أمرى مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه الاخذله الله في موضع يجب فيه نصرته وقوله صلى الله عليه وسلم من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله على رؤس الخلائق يوم القيامة والذي أوصى به نفسه واخوانى التحلى بحلل التقوى والتمسك بحبل الله الاقوى

والصبر والثبات في النوازل المدلهات ولن يغلب عسريسرين فأن مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب وهي وصية الله في الاولين والاخرين والنبیین والمرسلين والملائكة المقربين قال تعالى في ما أوصاه (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) والتقوى خير زاد قال تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) والتقوى مفتاح العلم قال الله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) والتقوى مفتاح الفلاح قال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) والتقوى مفتاح الفلاح قال تعالى (واتقوا الله لعلكم تفلحون) والتقوى مفتاح الولاية قال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) والتقوى مفتاح النجاة في الدنيا والآخرة قال تعالى (وينجي الله الذين اتقوا بمغازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) والتقوى مفتاح الكرامة قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والتقوى مفتاح الفرج من كل ضيق ومفتاح الرزق من حيث لا يحتسب والتقوى مفتاح اليسر قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) والتقوى مفتاح تكفير السيئات وتعميم الاجر قال تعالى (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويمظم له اجرا) والتقوى مفتاح القبول قال تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين) والتقوى مفتاح محبة الله قال تعالى (إن الله يحب المتقين) والتقوى مفتاح المعيشة قال الله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) وقال الله تعالى (واستعينوا بالله واصبروا) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وقال تعالى (واصبروا فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون

ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقال تعالى (واصبروا حتى يحكم الله
بيننا وهو خير الحاكمين) وقال (فاصبر ان العاقبة للمتقين) وقال (ربنا أفرغ علينا
صبراً وتوفنا مسلمين) وقال (ولنصبرن على ما آذيتونا) وقال (ونمت كلمة ربك
الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) وقال (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) وقال
(الذين صبروا على ربهم يتوكلون) وقال (ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن
ما كان يعلمون) وقال (ثم ان الذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا
ان ربك من بعدها لغفور رحيم) وقال (سلام عليكم بما صبرتم فنعيم عقبى الدار)
وقال تعالى (انى جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون) وقال تعالى (وبشر
الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا الله وانا اليه راجعون أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال تعالى ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مئة وان يكن منكم مئة يغلبوا الف من الذين كفروا بأنهم
قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين بأذن الله والله مع الصابرين)
وابشروا بنصر من الله وفتح قريب فما أمر بالجهاد الا ليهدي السبيل ولا حرك
لساناً بالدعاء الا ليحيب ولا تقر منكم نفس قرارها حتى تضع الحرب أوزارها وليكن
هم كل منكم وهواه قتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله الا فاعلموا
ان جولة الباطل ساعة وجولة الحق الى الساعة وأن أعداءكم على باطل وأنكم على
الحق فلا تهنوا ولا تضعفوا وباليواربكم على الموت فى سبيله ولا تزلوا بهم
حتى يخرجوا من بلادنا وهم أذلة صاغرون والله معنا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
تمت وبالحير ان شاء الله عمت والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بأحسن الى يوم الدين آمين